

تفسير البحر المحيط

@ 220 @ وزينب بنت جحش الأسدية ، وجويرية بنت الحارث المصطلقية ، وصفية بنت حيي بن أخطب الخيرية . .

وقال أبو القاسم الصيرفي : لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، بين ملك الدنيا ونعيم الآخرة ، فاختار الآخرة ، وأمر بتخير نسائه ليظهر صدق موافقتهن ، وكان تحته عشر نساء ، زاد الحميرية ، فاختارن الله ورسوله إلا الحميرية . وروي أنه قال لعائشة ، وبدأ بها ، وكانت أحبهن إليه : (إن ذاكر لك أمراً ، ولا عليك أن لا تعجلي فيه تستأمرني أبويك) . ثم قرأ عليها القرآن ، فقالت : أفي هذا أستأمر أبوي ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة ، لا تخبر أزواجك أنني اخترتك ، فقال : (إنما بعثني الله مبلغاً ولم يبعثني متعنتاً) . والظاهر أنه إذا اخترت الحياة الدنيا وزينتها ، متعنت رسول الله وطلقهن ، وأنه ليس باختيارهن ذلك يقع الفراق دون أن يوقعه هو . وقال الأكثرون : هي آية تخيير ، فإذا قال لها : اختاري ، فاختارت زوجها ، لم يكن ذلك طلاقاً . وعن علي : تكون واحدة رجعية ، وإن اختارت نفسها ، وقعت طلاقاً بئنة عند أبي حنيفة وأصحابه ، وهو قول علي ؛ وواحدة رجعية ، وإن اختارت نفسها ، وقعت طلاقاً بئنة عند أبي حنيفة وأصحابه ، وهو قول علي ؛ وواحدة رجعية عند الشافعي ، وهو قول عمر وابن مسعود ؛ وثلاث عند مالك . وأكثر الناس ذهبوا إلى أن الآية في التخيير والطلاق ، وهو قول علي والحسن وقتادة ، قال هذا القائل . وأما أمر الطلاق فمرجأ ، فإن اخترت أنفسهن ، نظر هو كيف يسرحهن ، وليس فيها تخيير في الطلاق ، لأن التخيير يتضمن ثلاث تطليقات ، وهو قد قال : { وَأُسرَّ كُنَّ سرَّاحاً جَمِيعاً } ، وليس مع بت الطلاق سراح جميل . انتهى . .

والذي يدل عليه ظاهر الآية هو ما ذكرناه أولاً من أنه علق على إرادتهن زينة الحياة الدنيا وقوع التمتع والتسريح منه ، والمعنى في الآية : أنه كان عظيم همكن ومطلبكن التعمق في الدنيا ونيل نعيمها وزينتها . .

وتقدم الكلام في : { فَتَعَالَى } في قوله تعالى : { قُلْ تَعَالَوْا * رَدْعُ أَبْدَاءَنَا وَأَبْدَاءَكُمْ } في آل عمران . { أُمَّتْ عَكُنَّ } ، قيل : المتعة واجبة في الطلاق ؛ وقيل : مندوب إليها . والأمر في قوله : { وَامَّتْ عُوهُنَّ } يقتضي الوجوب في مذهب الفقهاء ، وتقدم الكلام في ذلك ، وفي تفصيل المذاهب في البقرة . والتسريح الجميل إما في دون البيت ، أو جميل الثناء ، والمعتقد وحسن العشرة إن كان تاماً . وقرأ الجمهور : { أُمَّتْ عَكُنَّ } ، بالتشديد من متع ؛ وزيد بن علي : بالتخفيف من أمتع ،

ومعنى { أَعَدَّ } : هياً ويسر ، وواقع الظاهر موقع المضمّر تنبيهاً على الوصف الذي ترتب
لهن به الأجر العظيم ، وهو الإحسان ، كأنه قال : أعدلكن ، لأن من أراد أن يرسله والدار
الآخرة كان محسناً . وقراءة حميد الخراز : { أُمِّتَّ عَوْكُنَّ - وَأُسِّرَّ عَوْكُنَّ } ، بالرفع
على الاستئناف ؛ والجمهور : بالجزم على جواب الأمر ، أو على جواب الشرط ، ويكون {
فَتَعَالَىٰ يَنَ } جملة اعتراض بين الشرط وجزائه ، ولا يضر دخول الفاء على جملة الاعتراض ،
ومثل ذلك قول الشاعر : % (واعلم فعلم المرء ينفعه % .
إن سوف يأتي كل ما قدرا .
%) .

ثم نادى نساء النبي ، ليجعلن بالهن مما يخاطبن به ، إذا كان أمراً يجعل له البال .
وقرأ زيد بن علي ، والجحدري ، وعمرو بن فائد الأسواري ، ويعقوب : تأت ، بتاء التانيث ،
حملاً على معنى من ؛ والجمهور : بالياء ، حملاً على لفظ من . { بِرِفَاحِ شَةِ مَّيِّدَةِ }
{ : كبيرة من المعاصي ، ولا يتوهم أنها الزنا ، لعصمة رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، من
ذلك ، ولأنه وصفها بالتبيين والزنا مما يتستر به ، وينبغي أن تحمل الفاحشة على عقوق
الزوج وفساد عشرته . ولما كان مكانهن مهبط الوحي من الأوامر والنواهي ، لزمهن بسبب ذلك
، وكونهن تحت الرسول أكثر مما يلزم غيرهن ، فضوعف لهن الأجر والعذاب . وقرأ نافع ،
وحمزة ، وعاصم ، والكسائي : { يُضَاعَفُ } ، بألف وفتح العين ؛ والحسن ، وعيسى ، وأبو
عمرو : بالتشديد وفتح العين ؛ والجحدري ، وابن كثير ، وأبو عامر : بالنون وشد العين
مكسورة ؛ وزيد بن علي ، وابن محيصن ، وخارجة ، عن أبي عمرو : بالألف والنون والكسر ؛
وفرقة : بياء الغيبة والألف والكسر . ومن فتح العين رفع { الْعَذَابَ } ، ومن كسرهما
نصبه . { ضَعُفَ يَنَ } : أي عذابين ، فيضاف إلى عذاب سائر الناس عذاب آخر . وقال أبو